

قيم الحرب والسلام في فكر برتراند راسل

War and peace values in the thought of Bertrand Russell

| | |
|--|--|
| المركز الجامعي (نور البشير) البيضاء الجزائر | قدور نورة Leonourakaddour62@yahoo.com |
|--|--|

الإرسال: 2021/04/14 لقبول: 2021/04/19 النشر: 2021/05/14

ملخص: ملخص: شكلت مواضيع الحرب والسلام محور آخر من محاور فلسفة "راسل" السياسية، ويعتبر الحرب هي صراع بين مجموعتين تحاول كل منهما أن تقضي على أكبر عدد من المجموعة الأخرى أو إصابتها بالعجز - بقصد تحقيق هدف معين ترغب في تحقيقه وعادة ما يكون هذا الهدف هو القوة أو الثروة، وأن هناك علاقة وطيدة الصلة بين العلم والحرب وذلك من خلال بدايتها الأولى، والسلام عند (راسل) لن يتأتى إلا مع الحكومة العالمية التي ستملك كل القوات المسلحة وستبدأ بنشر العلم والمعرفة والرفاهية في العالم بالتساوي، ثم تقوم على خفض معدلات الزيادات السكانية مما يحفظ الغذاء والتربة في العالم.

كلمات مفتاحية: الحرب ؛ السلام ؛ العلم ؛ المجتمع ؛ الثورة الصناعية.

Abstract : (English)

Issues of war and peace constituted another axis of Russell's political philosophy. He considers war to be a struggle between two groups in which each tries to eliminate the largest number of the other group or make it impotent - with the intention of achieving a specific goal that it wants to achieve, usually this goal is strength or Wealth, and that there is a close relationship between science and war, through its first beginning, and peace at (Russell) will only come with the world government that will possess all the armed forces and will begin to spread knowledge, knowledge and prosperity in the world equally, and then it is based on reducing the rates of population increases, which saves Food and soil in the world.

Keywords : war ; peace ; science ; society ; industrial revolution.

مقدمة:

شهد تاريخ البشرية ألوانا شتى من الحروب المحلية والعالمية، والتي يبدو فيها الإنسان بصورة أنانية وحيوانية شريرة مفترسة، والتاريخ حافل أيضا بصورة أخرى للإنسان الوديع والمسالمة الذي يخشى الحرب ويهاجمها بل يكرهها ويعمل للقضاء على أسبابها ويرنو إلى العيش في عالم تسوده المحبة والتسامح، ويظهر أن الحديث عن السلم يرتبط بالحرب وأخذ الثأر وعدم الاستقرار الذي عرفته البشرية عبر مراحل تاريخه، وأنه مفهوم يعكس تلك المأساة والذي تغيب معانيه إلا إذا ارتبط بمفهوم القتل والقتال وهو في الأخير بهذا المعنى نتاج له، بحيث لا يمكننا أن نتكلم عن السلم إلا بعد حدوث المأساة والشعور بالحاجة إليه في حياتنا وعرف موضوع السلام ظهورا واسع الصيت بعد الحرب العالمية الثانية. لقد اعتبرت الحرب ظاهرة إنسانية، وأنها من الولايات التي تصيب البشرية، وحرمتها تشريعات الإنسان الوضعية وقبلها الرسائل السماوية، ومنها العدوانية أما الحروب الدفاعية قيل عنها استخدام مشروع للقوة، ووصفها "غاستون بوتول" أنها أروع الظواهر الاجتماعية بلا خلاف ("توهيل، 1998، صفحة 57)، وأن علاقة الإنسان بها قديمة. ففي العصر الحجري الأول كان يعيش على الطبيعة فابتكر أدوات تساعد على صيد الحيوانات، وتطور العلاقات الإنسانية تحول لصيد الإنسان (توهيل، 1998، صفحة 119)، وكما كان للديانات السماوية دورا مهما في لجم الصراع ووضع ظاهرة الحرب في حدودها المعقولة من معالجتها من خلال رسالة تهذيب النفس الإنسانية ونزع فتيل الانتحار في سلوكها، فالإرادة الإلهية هي دائما مع الحق والعدل والسلام من أجل البناء وتحقيق السعادة للبشر وإن كان فلاسفة الإغريق أسسوا أرضية خصبة لفعل الخير ونيزد العنف والصراع.

وهذا ما جعل فكرة السلم فكرة قديمة، اتجه لها حكماء العصور الغابرة، وحمل لواءها الفلاسفة الرواقيون منذ القرن الثالث قبل الميلاد عندما نبذوا التفرقة بين الإنسان وأخيه الإنسان من فروق الدين واللغة والأوطان، ونظروا للناس كأنهم أسرة واحدة قانونها العقل ودستورها الأخلاق (كانط، 1952، صفحة 7)، وإلى نفس الفكرة دعا "الفارابي" في "آراء أهل المدينة الفاضلة" في القرن العاشر، وإن كان القرن الثامن عشرة في أوروبا يحمل فكرة الأب "دوسان بيير" (1658-1743) مشروعا لإنشاء حلف دائم من جميع الدول المسيحية، والقصد منه حماية أوروبا من أي اعتداء خارجي. ومن أكثر مشاريع السلام حضورا في الفكر الإنساني ما عرضه "إيمانويل كانط" فلسفة الصراع من أجل السلام، فالتاريخ يتجه بالأمم إلى التخلص من العنف والحرب والعدوان مما دفعها إلى التعاقد فيما بينها لحفظ السلام، ويتوسع "كانط" في السلام من خلال "مشروع السلام الدائم" ليقدم الشروط لذلك حيث يحاول التأكيد على أن الإنسان مدني بطبعه، ويجب أن لا يكون المجتمع همجيا أو على بدواته الأولى، ولا بد أن ينظم تنظيما يتيح للفرد ممارسة حريته ويحقق غايته الأخلاقية ولتحقيق هذه الغاية هو الحرية، انطلاقا من مبدأ عام "الحق هو مجموع الشروط التي تلاءم بين حريتنا وحرية الغير، وفقا لناموس شامل للحرية" (كانط، 1952، صفحة 25) أكبر شروء البشرية هي الحروب، وما معاهدات السلام إلا هدن مؤقتة فلا بد من هيئة أمم قائمة على الحق، ويكون لها الحق على الإشراف على الأمم المتعدنة. وما إن اشتعل فتيل الحرب العالمية حتى انفجر "برتراند راسل" الذي بقى مدفونا مدة طويلة تحت أثقال المنطق وفلسفة العلم واضطرم كاللهب المشتعل وأدهش العالم بشجاعته الفائقة ومحفته وعطفه على الإنسانية فراح يصب على أعظم رجال السياسة سيلا من النقاشات والتعليقات واستمر بعد طرده من كرسيه من الجامعة وعزله كأنه "غاليليو" آخر في حي ضيق في لندن وأحدث هذا التحول العجيب في شخصية "راسل" بلبله وارتباك دفعتهم إلى مقاومته فترة من الزمن بتعصب ممقوت لا يتفق مع ما عرف عن الإنجليز من تسامح، ووجد نفسه منبوذا رغم عراقة أصله منبوذا وطريدا فأعتبر خائنا لوطنه، وسعى إلى ضرورة السلم كحاجة ملحة والسعي لتجسيده وإن الإشكال الذي يطرح: ما هي الأسباب التي تقف وراء هذه الشروء في حياتنا؟ ما هي القوى المحركة والدافعة إلى العدوان؟ وهل صحيح أننا ننحو في حياتنا الطبيعية إلى تفضيل حرب الكل ضد الكل كما صورها "هوبس"؟ وهل يفوق حب الدمار والقتل والإبادة

يفوق في صدورنا حب البناء واحترام حياة الإنسان وإذا كان الجواب بالإيجاب؟ ما هي دوافع الحرب؟ وكيف يمكن تجسيد السلام؟ كيف تتجلى الحكومة العالمية له؟ قبل ذلك نعرض لمفهوم الحرب والسلام:

1/ الحرب: وإنها حالة صراع مسلح بين دولتين أو عدة دول ينطلق بإعلان الحرب وينتهي باستسلام أحد الأطراف، أو توقيع معاهدة السلام بين الدول (سعيقان، 2004، صفحة 142).

قديمًا: تعرف الحرب في القانون الدولي القديم (محمد و الفار، 1975، صفحة 9) بأنها نزاع مسلح بين دولتين أو أكثر يترتب عليه استبدال حالة العداء بحالة السلم ويكون الغرض منه الدفاع عن حقوق أو مصالح الدول المتحاربة ولا بد أن تتوفر لها عناصر أربعة: أولها عنصر عضوي يتعلق بأطراف النزاع، ثانيها هو عنصر الإرادة يتعلق بالرغبة في القتال، أما ثالثها هو عنصر مادي يتعلق بوقوع الاشتباك المسلح، وأخيرها عنصر السببية ويتعلق بتوافر المصلحة الوطنية.

ويقول "بن خلدون" "بأن الحرب أنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله وأصلها إرادة الانتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منهما أهل العصبية، فإذا تدمروا لذلك الطائفتان فإن إحداها تطلب الانتقام والأخرى تدافع وعندها تكون الحرب، وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو منه أمة ولا جيل" (خلدون، 1965، صفحة 270/271).

2/ السلام: لغة: يعني أحيانا السلم من الفعل الثلاثي: سلم، مسالم، السلامة، السالم، سلم، مؤنث سلام ويقصد بهذه المفاهيم إلى معنى البراءة والسلامة من كل ما يحمل شرا ومن العيوب، أو العافية من كل بلاء، ويراد فيه في كلام العرب الصلح والبراءة والأمان (مصطفى، د.ت، صفحة 446)، بالتالي اتصاله بقيمة الخير والجمال، ويقصد به ما يلي (عابد و آخرون، صفحة 639).

أ- اسم من أسماء الذات الإلهية (السلام) "هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام" (سورة الحشر، الآية 23)

ب - اسم من أسماء الجنة "لهم دار السلام عند ربهم" (سورة الأنعام، 127).

ج - اسم من أسماء الشجر "والشجر رمز البركة والخير.

د - والسلم خلاف الحرب والأمان والنجاة لقوله "يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان" (سورة البقرة 208)

وفي اللغة اللاتينية (pax) ويعني حالة الوئام التي تكون عليها الدولة أو الجماعة من غير بادرة حرب، أو هي وفاق بين طرفين يحملان أسباب الصراع.

والسلام بالفرنسية (paix) وبالانجليزية (peace) وباللاتينية (pax) وهو المعنى المتعارف عليه، حالة أي أمة أو دولة ليست في حرب، كما أنه يعني العلاقات غير الصراعية بين الناس وانعدام أي الأعمال العدوانية أو أي عنف داخل مجموعة بشرية كما يعني الوفاق بين أعضاء مجموعة بشرية متقاربة ومتصلة الروابط لإقرار السلام (wehmeier، صفحة 932).

ومن الناحية السياسية: السلام هو مصطلح يستخدم في العلاقات الدولية ليشير إلى انعدام العدوان الدولي، ومع وجود روابط بين مجموعة من الدول وتصدق على بعض النظم التي نجحت في تنظيم العلاقات بين دولتين أو أكثر، وعملت على استقرارها سياسيا، وأنه الحالة التي تقوم بين الدول من عدم اشتراكها في الحرب أو إنهاء لحرب، والسلم الحقيقي ليس مجرد عدم وجود خصومات قائمة بل ينطوي على استقرار النظام (النهاني، 2008، صفحة 164)¹.

1/ دوافع الحرب عند راسل:

¹- يحي محمد النهاني، معجم مصطلحات التاريخية، دار باقا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، ص 164.

شكلت محاور الحرب والسلام محورا آخرًا من محاور فلسفة "راسل" السياسية، ويعتبر الحرب هي صراع بين مجموعتين تحاول كل فيها أن تقضي علي أكبر عدد من المجموعة الأخرى أو إصابتها بالعجز- بقصد تحقيق هدف معين ترغب في تحقيق وعادة ما يكون هذا الهدف هو القوة أو الثروة " (عويضة، صفحة 75)، حيث أن علاقات الأفراد تؤكد لها الحرب من خلال صراع بين قبيلتين في الماضي تستأصل إحداهما الثانية وتضم إقليمها، ولكن الغريب هو استمرار الحروب، مما دفعه لرفض الحرب العالمية الثانية مع الألمان لم عدم وجود فيها منافع بل مساوئها أكثر من منافعها، لكان الإنسان أكثر ثراء لو لم تقعا هذان الحربين .

إن ملاحظة الأولية لهذا التعريف تجعلنا نضع بعض التحفظ من الناحية القانونية أو السياسية، حيث تتجلى لأول وهلة أن الحرب بنظره مجرد وسيلة لقتل أكبر عدد ممكن من الأفراد الفريق الآخر، ولكن ما يرفع التحفظ وهو عودتنا إلى منهج "راسل" تحليله لظاهرة الحروب وذلك نظرا لما يمكننا توضيحه من خلال تحليله لأسباب الحرب بتحليله لها بطابع سيكولوجي من خلال ربطه هذه الظاهرة بدوافع السلوك الإنساني بشكل عام و وبغريزة القطيع التي أخذت شكلها المعاصر بما يسمى بالقومية، إذ يمكن التنبيه إلى أن الهدف النهائي للحرب هو تحقيق مصلحة معينة تستهدف المتحاربون تحقيقها، إذا قد نتصور إن هذه المصلحة لأول وهلة هي الدافع الوحيد للحرب، في حين أن الحقيقة بعيدة كل البعد عن ذلك.

إذ أن هناك أسبابا دفينية في وجدان الإنسان، وهي ما يطلق عليه "راسل" دوافع الحرب، وإن ما يرغب الفرقاء المتحاربين في تحقيقه فما هو في حقيقة الأمر إلا محركات عارضة لهذه الدوافع الدفينية، فالتحليل المنطقي يبين أن الحروب التي تبغي تحقيق مكاسب اقتصادية يترتب عنها خسائر مضاعفة، ، إذن الحقيقة في النهاية تتمثل في أن الحرب تنشب لأن جانبا كبيرا من البشر لديهم من دوافع العدوان أكثر مما لديهم من دافع الائتلاف.

خلص "راسل" إلى أن كل وجوه النشاط البشري تنبع من الدوافع والرغبات، ونلمس التقارب بين "راسل" و"فرو يد" عندما تكون لدينا دوافع ولا نطلق لها العنان ، سوف تبحث عن متنفس آخر فتطفو على الشعور في شكل رغبة في القيام بنشاط معين من شأنه أن يحقق لنا في النهاية إشباعا بدلا من الإشباع الذي كان يستهدفه الدافع الأصلي، فهذه الرغبات ما هي إلا ستار يخفي دوافعنا الدفينية، ولكن لا يجعلنا نعتقد أن كل دوافعنا تتحول إلي رغبات ذات نتائج ضارة، بل تتحول أحيانا إلى سلوك مثمر وبناء، وأبرز الأمثلة على نتائجها الحميدة هي الأعمال الفنية والأدبية، علينا توجيه رغباتنا ورفض دعوة بعض الدعاة الأخلاقيين من القمع التام للدوافع لا يقل شرا عن إطلاق العنان لها في مسار غير صحيح، فلئن كانت الدوافع العمياء هي مصدر النزوع إلى الكراهية والحرب، فإن الدوافع المشرقة هي مصدر العلم والفن والحب(راسل1، د.ت، صفحة 142).

يتفق "راسل" مع الفوضويين والاشتراكيين أن أسباب الحروب الحديثة هي الرأسمالية، ويشير إلى أن عوامل رأسمالية معينة تعمل على إشعال الحرب وأول هذه العوامل هو ما يتطلبه المال من إيجاد حقول جديدة لاستثمار في البلاد المتخلفة، أما العامل الثاني هو الصحافة التي هي مصدر الحرب الحديثة، حيث أن إصدار جريدة كبرى يتطلب رأسمال ضخم، وملاك الصحف هم من الرأسماليين، ويحددون الأخبار التي يسمح بقراءتها.

إتفقهم في أهمية هذان العاملين في إثارة الحروب ومع تغافلهم عن عامل يعتبر أساسي ولم يولوه أهمية كبرى هو "نزعة حب القتال" التي تنمو عند رجال الذين لديهم عادة إصدار الأوامر مما يضاعف المجال لحوافز السلطان عند الجريئين من الرجال(راسل2، د.ت، صفحة 26)، فوجود أشخاص تعودوا السلطة يزيد من خطر الحرب، وطالما هذاالخطر فإن حربا وشيكة الوقوع فيستحيل تجنب سلطة الدولة، وإن الحرب هي التي أنجبت سلطان الدولة الحديثة المفرط(عوض، 1966، صفحة 111).

2/ علاقة الحرب بالعلم:

يرى "راسل" أن هناك علاقة وطيدة الصلة بين العلم والحرب وبينها من خلال بدايتها الأولى مع "أرخميدس" الذي ساعد "ابن عمه" "سيراكوزا" في الوقوف معه ضد هجوم الرومان سنة (212 ق.م) على مدينته، لقد لعب العلم دورا هاما وحاسما في الحروب فالنار اليونانية أبقّت الإمبراطورية البيزنطية لوقت ما، كما أن ظهور المدفعية ساهمت في زوال النظام الإقطاعي مما جعل مهارة رماة السهام اليونانيين تنتهي لتحل محلها مهارات رجال عصر النهضة في العلوم الحربية

يبين "راسل" كيف أن الحروب الحديثة تختلف عن القديمة فكم كان القدماء يفتخرون بالجنود الذين يتميزون بالشهامة والشجاعة، ولكن اليوم فيزيائي نووي واحد يعادل أكثر من العديد من فرق المشاة إن ما يضمن الانتصار في الحرب هو الاستخدام لأحدث الأساليب العلمية لم يعد الحماس الجماهيري، ويكمن الاختلاف بين الحروب القديمة والحديثة أن القديمة كانت أشد ضراوة وأكثر إهلاكا للأرواح من الحروب العلمية الحديثة نتيجة للتحسينات التي قدمها العلم في مجال الصحة ومحاربة الأوبئة، وأن شروا وتأثير الحروب الحديثة على معنويات الأفراد يكون كبيرا وأكثر فداحة، ولا يمكن وضع شروط وقوانين عامة في الحروب بدليل أن بعض الحروب الماضية كانت بنفس مستوى الحرب العلمية الثانية، من حيث التدمير والإخلال بالنظام في أماكن الحرب، .

يظهر "راسل" نوعين من الحروب "حروب خسائرها كارثية وأخرى تكون فيها الهزيمة فحسب، ولكن المؤسف أن العالم الآن يتجه نحو النوع الأول من الحروب بسبب القنبلة الذرية، وبدرجة أكبر القنبلة الهيدروجينية، مما يوضح مساوئ العلم الجديدة إضافة إلى السابقة، ومما يثير الخوف والشك حول أثره على الإنسانية، و مما جعله يبين وربما أن الإنسان يعيش آخر عهوده ويدين للعلم بإيادته.

وإن قررنا الحفاظ على الجنس البشري فعلينا القيام بتغيرات جذرية في طرق تفكيره وشعوره وسلوكاته، وعلينا "أن نتعلم أن لا نقول "كلا الموت ولا العار" (راسل3، 2008، صفحة 110)، والشئ الوحيد هو منع الانفجار والتفاؤل على أن تحل الحكمة مكان الحرب مع مرور الزمن، وأن يتعلم البشر ضبط العواطف وعليه الخضوع للقانون حتى مع اعتقادنا أنه غير عادل وجائر، يجب الاختيار بين هلاك الجنس البشري وبقاءه وهو قرار الاختيار بين التعقل و الموت، ولكن معنى التعقل هو الخضوع للقانون كما تقرره السلطات الدولية، والخوف من اختيار الموت والأمل في السلام .

3/ مفهوم السلام عند راسل:

وربما كان هذا الهاجس الأبرز لديه يتلخص في السلام، الذي لن يتأتى إلا مع الحكومة العالمية التي ستملك كل القوات المسلحة وستبدأ بنشر العلم والمعرفة والرفاهية في العالم بالتساوي، ثم تقوم على خفض معدلات الزيادات السكانية مما يحفظ الغذاء والتربة في العالم، وهذه الرؤية صعبة في الوقت الراهن، ولكنها ممكنة وضرورية في يوم ما، وضرورية لاستمرار الإنسان وتقدمه وحضارته.

ومنذ بداية الحرب العالمية الأولى في (أوت 1914) يرى أن الناس ليسوا عقلانيين بقدر ما كان يعتقد، مما استدعى تغيير أسلوب حياته تغيرا جذريا، وكان أول أثر لها من يأس وألم، وسرعان ما تبدلت حالته النفسية من اليأس السلبي إلى التمرد الايجابي ضد الحرب، مما جعله شخصية مهمة ومعروفة، قال "راسل": "ليس هناك من عمل يستغرق كل حواسي ولم يخامرني فيه تردد مثل عملي في الدعوة إلى السلام التي تحمست لها خلال الحرب، ولأول مرة أجد شيئا يستغرق كل كياني، فألقى بنفسه داعية للسلام بمعارضة الرأي العام" (وود، 1984، صفحة 95).

وأقر "راسل" أنه لا سلام ما دامت أنظمة التعليم تعبئ الناس بنوازع الحرب، فلا بد من إعادة النظر في مقومات البناء الاجتماعي ومراجعتها، وفي حديثه عن الحرب قال: أن أسلم طريق يسلكه المتحاربين هو إقرار السلام بأفضل الشروط الممكنة، قال: "أن الحرب جعلتني أشعر بأهمية البناء الرهيبة وتشديد الأشياء الايجابية، إنني لا أريد أن أظل صوتا صارخا في البرية، إنني أود أن أصبح صوتا يسمعه الناس ويستجيبون له، وأن أقول أشياء يهتم الناس

بسماعها" (وود، 1984، صفحة 103) ويمكن اعتبار أن مقالات الحرب كان لها أثر بالغ في ذبوع صوت "راسل" وخاصة مع نشر كتاب "مبادئ إعادة البناء الاجتماعي"، وكانت كتاباته وخاصة في السجن تنادي بحرية الروح الإنسانية وقدرة العقل على التحرك دون قيود حتى لو كبلت الجسد "إنني حر ولسوف يكون العالم حرا كذلك".

استمرت حركته السلمية، ولم يكن داعية تقليديا لدرجة مناداته بأن تملك بريطانيا بحرية قوية لتدوم وتصمد، ومع تطور الطيران دعا إلى قوة الطيران، وأنه تنبأ بأن الحرب القادمة ستكون "أنه إذا كان لأحد الأطراف أن يكسب الحرب القادمة فسيكون هو الطرف الذي يظهر شبابه أكبر قدر من الذكاء في ميداني "الكيمياء والبكتولوجيا". وفي كتاب "أي الطرق تؤدي إلى السلام (1936)" يصور فيه موقفا سلميا، ويستاء على الحرب العالمية الثانية، وتنبأ بخسائر كبيرة في الأرواح بأوروبا، وتختفي الحركة الصناعية والحكومات المستقرة و بانتشار الأوبئة (Ayer، 1988، صفحة 20).

وترأت له أن الدعوة الوحيدة في هذه الظروف سوى السلام كسياسة عاقلة، "فإذا شن هتلر هجوما على هذه الدولة في ظل حكومة تدعو إلى السلام فسيلقى هو وقواته الترحيب والتحية الودية التي يلقاها السائحون"، وهذا التصرف ربما يغير من نفسية الألمان ويجعل الحرب أمر سخي.

اعترف "راسل" أن النزعة الإنسانية الأصيلة تثور غضبا لمجرد التفكير فيما قد يحدث إذا ما جلسنا مكتوفي الأيدي إزاء النازيين، وأكد أن القوة أمر ممكن لإنشاء حكومة السلام العالمية، لقد كان يعتقد أن الشيء الوحيد المهم هو الدعوة إلى السلام هو "جعل الرأي العام أكثر تشككا في قيمة الحرب والتسلح، وأن الحكومة في حالة الحرب ستكون في مواجهة مقاومة سلبية، كما عمل هو في الحرب الأولى مناشدا الحس السليم والإنسانية مشددا على الاستفادة من السلام والحرية، وسوف يدرك الناس عدم جدواها، وعلى الرغم من الصعوبات التي وجدها إلا أنه أدان الحرب على نطاق واسع.

أن نهاية الحرب حملت لراسل السعادة ولكن لم تدم طويلا فالنظرة القائمة عادت من جديد مع "هيروشيما" فأضحى متشائما للغاية من مستقبل الحضارة الإنسانية، مع تطور الحرب النووية، لأول مرة أصبح انقراض الجنس البشري ممكنا مما ينبئ بحرب عالمية أخرى، بينت التقارير الصحفية المتكررة عن استعمال الغازات والأسلحة الكيميائية والجميع يغفل عنها.. بقوله "إنني أعارض العدوان الأمريكي اليوم بحزم كما عارضت العدوان النازي في (1939) للسبب ذاته، فتهدئة هؤلاء الذين يقترفون جرائم الحرب والعدوان السافر لن تثمر، بل تعمل على زيادة شهيته للعدوان، إن المعتدين يجب أن يعزلوا" (راسل، 4، 1967، صفحة 142).

إن وسيلة تحقيق السلام الدائم هي حكومة عالمية التي تملك حق الطاعة ووسائل لفرض القانون الدولي والتي تحتفظ باحتكار في الأسلحة الحديثة والخطيرة وإعادة توزيع الثروة على جميع الشعوب، حيث لا تحقد أمة فقيرة على أمة غنية وبخفض معدل النسل في جميع بلاد العلم وبخلق جو للتفتح المواهب الفردية في العلم والفن والأدب، ويتصور بوضوح كيف ستكون حالة "مواطني العالم" بتصرف بحرية وكيفية اختفاء القومية وكره الأجانب والتميز ستنتهي بنسب السلطة للحكومة العالمية، وإن الزمن سيعفو عن مشاعر الكره والشعور بالتفوق بين الأمم، وإن العالم ما بعد الحرب الإنسانية، سيكون أكثر تسامحا واستعدادا لسماع مقترحاته، برفض الرجال ما يفرق بينهم، سيظهر بدلا من ذلك شراكة واقتناعا لاتخاذ تدابير جديّة لحماية العالم من حروب مستقبلية.

إن السبيل لمنع الحرب هو السبيل الوحيد لتحقيق سلام عالمي، بواسطة الاتفاق بين الدول طواعية وبالاختيار، جامعة القوات المسلحة، مع خضوع لسلطة دولية متفق عليها، ولكن في الوقت الراهن هي بعيدة الأمد وخيالية (راسل، 5، يناير 1961، صفحة 110)، ولكن انشغاله الرئيسي هو بقاء الجنس البشري، هناك مشكلتان لا بد أن نوليها عناية وأولهما نزع السلاح ولا بد من الحد من توسيع رقعة النشاط الذري من خشية على السلام بتوسيع دائرة الدول المنتجة

للأسلحة النووية، وأن يقتصر إنتاج الأسلحة الذرية على أمريكا وروسيا حتى الوصول إلى تسوية عامة دولية، وثانيهما إجراء بعض التعديلات في الحدود الإقليمية لبعض الدول، يجب إرغام الدول على قبولها لصالح السلام العالمي. لقد استعرض "راسل" رأيه في بعض المشاكل الدولية التي يرى أن حلها سيكون دعامة للسلام العالمي وسعي إلى تقسيم المشاكل الدولية إلى ثلاث مناطق (عوض 2، صفحة 63):

- تتمثل المنطقة الأولى في أوروبا وأنه يجب توحيد ألمانيا لإدامة السلام، لهذا اقترح الحد من تسليح ألمانيا.
- يعتبر الشرق الأوسط المنطقة الثانية يراها أنها لائمة على الغرب، وحلفها الوحيد والصدى هو الاتحاد السوفيتي.
- المنطقة الثالثة هي شرق آسيا: علينا عدم استبعاد الصين من الأمم المتحدة وأن تعود "فرموزا" إليها من جديد.
لما تحل كل هذه المشكلات يمكن أن يكون الجو مناسباً لإنشاء حكومة عالمية وكان يدرك "راسل" أن الحكومة العالمية قريبة من الخيال وبعيدة كل البعد عن الواقع، ولكن أراد للإنسانية أن تسعى لتحقيقها.

يمكن أن تكون الأمم المتحدة نواة للحكومة العالمية واقترح العديد من الاقتراحات من أهمها (عوض 2، صفحة 64):
1- سلطة عسكرية عليا: يجب أن تتوفر الحكومة العالمية سلطة تشريعية، وأخرى تنفيذية، مع سلطة عسكرية قوية لا تقاوم، لا بد لهذه الهيئة العالمية من إنشاء جيش عالمي قوي يضمن للقرارات الدولية الاحترام والتنفيذ، كما لا تملك الدول الأسلحة النووية وتكون سلطة التجنيد وصناعة السلاح مخولة للحكومة العالمية.

2- تقسيم العالم إلى مناطق فيدرالية يراعى فيها التساوي في عدد السكان قدر الإمكان تمثيل العالم تمثيلاً صحيحاً، وجميع الفيدراليات خاضعة لسلطة الحكومة العالمية ودستور الهيئة التشريعية هو فيدرالي، ويجب على الدول المنفصلة المحافظة على استقلالها في كل شيء لا يتعلق بالحرب والسلام.

3- يجب إلغاء حق الفيتو المعمول به في مجلس الأمن الذي هو مخول لعدد معين من الدول، فهذا الحق من شأنه أن يعطل تنفيذ سائر القرارات.

4- إن السلام هو الغرض الأساسي للحكومة العالمية، فلا يحق لها أن تتدخل في المسائل الداخلية للفيدراليات، لها حق حرية اختيار الدين والأنظمة التي تحلو لها.

5- ولمنع تعكير صفو السلام يجب أن ننشئ قوة ضاربة تابعة للحكومة العالمية ولغرض احتكارها للأسلحة الذرية، ودور السلاح الذري مثل دور البارود في الماضي قصد منع أي دولة تخول لنفسها الاستقلال عن الحكومة العالمية.

6- يجب أن يحوي الجيش العسكري كل الجنسيات بغية منع الجنود التابعين لجنسية واحدة من التكتل في صعيد واحد.

7- سيادة القانون تخول لكل فيدرالية حق التمثيل في مجلس التشريع العالمي بحسب عدد السكان، مع ضرورة وجود دستوريين: أحدهما يتعلق بالعلاقات بين الفيدراليات الفرعية والعالمية والآخر يرتبط بالفيدراليات الفرعية بضمانة من الحكومة العالمية.

وفي حديثه عن حدود السلطة المخولة للمجلس العالمي يصادق على معاهدات السارية ويمكنه تعديلها وإدانة النظم التعليمية التي تمارس سياسة قومية عنيفة تهدد السلام، مما يستدعي إنشاء مجلس تنفيذي يكون مسؤول أمام المجلس التشريعي، وتكمن وظيفته في إزاح الستار في أي انتهاك للدستور العالمي لأي دولة قومية.

كما لم يغفل عن ضعف القانون الدولي فحاول أن يحله بمنح تنظيم قانوني القوة لحل المشاكل كمحكمة العدل الدولية "بلاهاي"، ويظهر بوضوح نشاطه بدعوته إلى وجود قانون دولي يحاكم مرتكبي جرائم الحرب، بدعوته لمحاربة مجرمي حرب الفيتنام من الأمريكيين.

ولم يتخوف "راسل" من خطر السيطرة العسكرية، ويعتبرها ستكون أقل صعوبة مما كانت عليه في الدول القومية، ولكن يجب ضرورة الانتباه إليه من الحكومة المدنية، ولكن ما حكمه على الخوف؟

يرى "راسل" إن الخوف عائق نفسي يعترض سبيل الحكومة العالمية، فالخوف الدائم من الأعداء الخارجيين، فالتماسك الاجتماعي لا يتوفر إلا بالخوف من الأعداء فبالغريزة ينقسم الأفراد إلى أصدقاء وأعداء ويقول "راسل" التعاون الدول ويدعو إلى قواعد الدين والأخلاق والمصلحة الاقتصادية، حتى مجرد الرغبة في البقاء البيولوجي ولكننا دائما نريد المزيد من التطاحن والشحناء وتفسير ذلك حاجة الإنسان لأعدائه وهذا الدافع الذي ورثناه عن الغابة، وأنه من أصعب الأمور التي تواجه توحيد العالم هو رغبته الغريزية في المنافسة، ويجب علينا التغلب على الطبيعة اللاشعورية المفترسة الكامنة فينا، ولكن هذا ليس بالمستحيل ويتم التغلب عليه بسيادة القانون وإيجاد المخارج بريئة للتنفيس عن رغباتنا في التنافس (راسل5، يناير1961، صفحة30)، ويكون أكثر وضوحا عندما يعهد إلى شخص راشد برعاية أطفال أشقياء لا ينصاعوا للأمر، وبما أنه الهدوء فإنهم لا يحملون على الطاعة، ولكن إن حدث حادث مخيف فسيبحثون عن شخص يحتمون به ويطيع أوامره وهذا ما ينطبق على الكبار، وأن الحكومة العالمية إذا توطدت بشكل واضح ولن يكون لها أعداء تخافهم ستكون معرضة للانهياب، بسبب افتقار إلى حافز التماسك.

إن الوطنية تكون واضحة بشكل كبير في الحرب، فينصاع الأفراد لأوامر الحكومة الكريمة، وهذه الطاعة لا توجد في حالة السلام المستقر، ولن تكون الحكومة العالمية بحاجة إلى دافع الولاء لأنها لن تجابه أعداء من الخارج، ولكن يجب التنبيه إلى أن الفشل في الولاء للحكومة العالمية معناه حرب علمية ستصبح على الأبواب، هل بالإمكان إيجاد عامل يساعد على التماسك الاجتماعي أكثر من العداوة للدول الخارجية؟

يعتبر "راسل" أن هذا ضرب من التشاؤم لأن كل هذا يعتمد بأسره على التعليم فالتطورات الفنية التي أحرزتها الثورة الصناعية، أدت إلى زيادة حجم الدول، وبحكم أن كوكبنا محدود فلا بد من إقامة حكومة عالمية، كان حجم الدول يحدد أساسا التوازن بين قوتين متعارضتين، من جهة نجد حب السلطان والقوة من جانب الحكومة، ومن جهة نجد حب الاستقلال من جانب المحكومين، والمرحلة التي تجد هذين القوتين نفسيهما في حالة توازن هي مرحلة من التطور تعتمد تكتيك سائد وأسلوب إنتاج خاص وعلى الرغم من تطور العديد من الأدوات، إلا أن اكتشاف البارود لم يزد من حجم الدول فحسب، بل زاد أيضا من قوة الحكومة المركزية، ولكن لم يخلق الظروف الفنية التي ينبغي توفرها لإنشاء الحكومة العالمية (راسل3، 2008، صفحة41).

ما فضل التجديدات في الحكومة العالمية ؟ لقد كانت لابتكارات الإنسان من سكة الحديد والتلغراف، وأخيرا اختراع الأسلحة النووية التي أدت الفوضى الدولية الراهنة وقد جعلت بالإمكان إقامة حكومة عالمية نتيجة إلى ثلاث ابتكارات علمية، وتتمثل في القدرة على التدمير للأسلحة النووية الحديثة، السرعة الفائقة التي تستطيع بها الأسلحة الوصول إلى أهدافها، أيضا تكاليفها الباهظة، فكل هذه التجديدات تزيد من إمكانية التضخم من حجم الدولة المستقرة، ولكي تعمل الحكومة العالمية بيسر فلا بد من مساواة اقتصادية وحتى يتحقق ذلك، فنظلم المجتمعات الفقيرة تحمل شعور الحسد للغنية، وكما يجب على الحكومة العالمية أن تملك المواد الخام للصناعة، وأن توزعها حسب مبدأ العدالة والقدرة على الاستعمال ومساعدة الدول التي تفتقر لها على اكتسابها .

تخوف "راسل" من حرب عالمية ثالثة بسبب الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا في سباقهما المتواصل نحو التسليح "لعل أول وأسهل خطوة لتحقيق السلام تكون باتفاق بين الجانبين للحد من نشاط الدعاية العدائية، والخطوة الثانية ينبغي أن يكون السماح للمعلومات الصحيحة بأن تعبر الستار الحديدي، فكل إنسان يدرك أن الروس في الوقت الحاضر لا يسمح لهم بأن يعرفوا الحقائق الغرب" فإذا بدأت الحرب بتدمير المدن الكبرى وقطع المواصلات تماما وإشعال النار في آبار البترول، وهذا ما يحدث في الغالب.

على الرغم من أن السلام ضروري وأهميته من قبل معظم دعاة الحرب أنفسهم ومن قبل "راسل" الذي يجمل ميزاه بأنه يوفر للبشر أرواحهم ومواردهم التي تبدها الحرب ولو أحسنوا استغلالها لعادت على البشر بالنعيم

والرفاهية، وإن السلام هو المناخ الملائم لنمو الطاقات الإبداعية التي يشهدها الخوف والكرهية والتدهور الاجتماعي والانحطاط الخلقي بوجه عام، وإن مع التطور العلمي والتكنولوجي لم يعد السلام ضامنا للرفاهية لا لنمو الإبداع الإنساني، بل أصبح كذلك ضامنا لبقاء الجنس البشري.

راسل وأفاق المستقبل:

إن مشروع "راسل" رغم أنه قريب إلى اليوتوبيا "إلا أنه حاول أن يتخلص من الحرب لما عايشه مع الحربين من دمار شامل بأن يحقق حكومة عالمية تكون نواتها الأمم المتحدة. شريطة الأخلاق التي تدعم الحياة السياسية، وإلغاء النزعات المسيطرة التي تدفعها الرغبات النفسية، كما أنه وفق في تعداد أسباب الحرب والتي تمنع السلم وخاصة صراع الأقوياء مع الضعفاء كالاستعمار، والتسابق من أجل التسليح... في بحث عن السيطرة.

لكن رغم ذلك سجل على "راسل" بعض الانتقادات تتمثل فيما يلي:

- ولو سلمنا معه أن مستقبل الإنسانية كله يتوقف على ظهور هذه السلطة المركزية التي يراها ضرورية لحماية السلام، ولكن حين نلتفت من حولنا لا نجد أي دليل يبين أن العالم قد أصبح واعيا ونضج في الوقت الحاضر، لظهور الحكومة العالمية، بل نرى أن ظهور هذه الحكومة العالمية في المستقبل القريب، وقد يعرض العالم لزعزعة كبيرة أشد خطورة من أوجاعه الحالية.

- إن قيام دولة قومية بتوحيد العالم، سوف يؤدي بالضرورة إلى قيام دولة إمبراطورية لا تغرب عنها الشمس، مما ينتج عنه استرقاق الأمة الكبيرة أو اتحاد من الأمم تملك وسائل البطش للشعوب القليلة الأفراد والموارد.

- ومنه فإن فكرة خلق حكومة عالمية مهمتها حفظ السلام بين الدول، وتحل كل النزاعات وتؤمن السلام العالمي للعالم، فهي فكرة ساذجة وبعيدة عن الواقع، وطابعها خيالي، وهي أقرب إلى اليوتوبيا فالوعي السياسي للشعوب يفرض عليها عدم الاستكانة لأي قوة خارجية، فمن غير الممكن اتحاد الدول ضمن سلطة واحدة وبالتالي وجود حكومة عالمية أمر مستحيل في ظل هذه الظروف الدولية المتعكسة الاتجاهات.

- كما أن فكرة الدمار الشامل بسبب الأسلحة النووية، لقيت رواجا كبيرا بعد سنوات من الحرب العالمية الثانية، لاعتقادهم أنها ستؤدي لفناء البشرية، ولكن استطراد التاريخ يبين أن الاعتقاد أن الإنسان يستطيع العيش مع القنبلة الذرية بأن أرباب الأعمال يضعون العراقيل باستمرار أمام المشروعات الهادفة إلى إلغاء بعض الأسلحة ومنعها دوليا ويقاومون كفاح الجماهير الشعبية من أجل نزع السلاح الشامل.

ولو حاولنا تحقيق السلام الذي تتوق إليه البشرية لابد أن يقوم على علاج حاسم لعوامل الحرب والصراع، وأن يقوم على علاج ناجع لعوامل الضعف أو العجز في الجهود المبذولة من أجل السلام.

وإذ يمكننا أن نؤكد أن الصراعات المذهبية وفرض العقائد والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالقوة أمران يهددان السلام، ولإنقاذ السلام ينبغي أن يترك للشعوب الحق المطلق في اختيار النظم التي تلائمها وتحقق لها ما تسعى إليه من كفاية في الإنتاج وعدالة في التوزيع هدفهما تحقيق الرفاهية.

ولابد أن يتحول الصراع المذهبي بين الدول إلى تعاون بين الشعوب لتحقيق الرفاهية للجميع، أي أن الصراع الحقيقي يجب أن يقوم بين شعوب العالم كلها وبين معوقات التقدم أن يكون هناك اتفاق واتحاد جماعي تتفق فيه شعوب العالم كلها لأفاق جديدة توفر الرزق والعدالة والرفاهية للجميع.

وإن كان نزع السلاح يعتبر مظهرا عمليا لفكرة السلم الدائم، وذلك بتوفير جو الثقة والطمأنينة، مع استخدام العلم لأغراض سلمية، بدلا من زيادة حصى التسليح، ومع توفير ضمانات كافية لمنع قيام أي عدوان، وذلك تحت إشراف منظمة دولية توفر لها قوة مادية تجعلها أقوى من أي دولة.

لا يمكن أن نفصل مستقبل السلام عن الأوضاع الاقتصادية في العالم كله، وصورة هذه الأوضاع، سواء من ناحية الموارد أو الثروة، أو من ناحية الإنتاج والاستثمار والأسواق وتوزيعها وينبغي أن تصحح وفقا لاحتياجات الشعوب في ظل التعاون الايجابي، الذي يهدف إلى الرفاهية والعدل للجميع، ولا لمصلحة فئة على حساب فئة أخرى في جو الحب المتبادل بين البشر، هذا الحب المتبادل هو السلام الحقيقي .

خاتمة:

وبما أن الحرب تقوم أساسا على الدوافع النفسية الدفينة التي تجد مناسبات للظهور بفعل بعض العوامل التي تكون أسبابا مباشرة، وإنه لإقرار السلام ومعالجة ظاهرة الحرب لابد من أن يلتزم ببذل الجهد على مختلف المستويات من حيث أساليب العمل سواء تعلق الأمر بالإصلاح الاجتماعي والتربوي والإصلاح السياسي، على كلا المستويين البعيد والقريب، فالحرب شأنها شأن أي داء يحتاج إلى علاج، ويتمثل الحل في إضعاف دوافع الهدم والعدوان وتقوية دوافع الإبداع والبناء، وهي مهمة يقع عبؤها على عاتق النظام الاجتماعي السائد وعلى طبيعة مناهج التربية والتعليم واتجاهات وسائل الإعلام والدعاية .

يرى "راسل" أن السلام على المستوى العالمي هو ما ينبغي تحقيقه، بسلطة عليا وقوة مسلحة تناط بها مهمة ردع الأفراد في المجتمع الدولي، ومنعهم من استخدام القوة بشكل غير مشروع إزاء بعضهم البعض، وربما يكون لتلاني الأمم المتحدة لبعض نقائص عصابة الأمم، يبعث على الأمل في النفوس، تكون مثل هذه المنظمة الدولية الخطوة الأولى في سبيل تحقيق سلطة عالمية فعالة، فلتحقيق السلام الدائم والأکید يجب أن نسعى وراء المساواة الاقتصادية .

اشترط "راسل" ليكتب النجاح للحكومة العالمية الإقلال من الدوافع الباعثة إلى الحرب، و المساواة الاقتصادية في مستوى المعيشة لتحقيق السلام الدائم والأکید، ولكي تثبت قواعد الحكومة العالمية يجب أن يدرك الناس استحالة الفوضى والعنف الدائم لأنه سيمهد الإنسانية مع تواجد أسلحة الدمار الشامل وزيادة التسامح مع تخلي عن جانب إثبات الذات القومية، وسيكون من العسير ضبط النفس لو استمرت المشاعر القومية في التكريس .

لقد أصبح من المهم معرفة ما إذا كان بوسع البشرية أن تفكر في الانتحار أو أن تختار السلام، ففضية المستقبل تشغل بالنا وضمائرنا، فهناك خطر الموت الجماعي ولكن بالمقابل هناك الأمل بالحياة، وتبقى أكبر النجاحات متلازمة مع أكبر الأخطار، والجميع يؤكد أن البشرية سوف تعرف مزيدا من المحن، ولكنها رغم ذلك لن تندثر، وهذه هي حكمة الساعات الأخيرة، وسوف تبقى دوما فكرة الاختيار بين الأفضل والأسوأ ماثلة أمام الإنسانية ولكل شيء حسابه في الحرب وحسابه في السلام .

ومن الحكمة التفكير في آثار الحرب بدلا من البحث عن فهم السلام، فالانتصار في الحرب ليس حلا للمصاعب والنزاعات التي تدفع الإنسان للمعركة، ومن المرجح أن الحرب تزيد من النزاعات، وإذا كان كذلك ألا يمكننا القول أن السلام يفضي إلى السلام ؟ وهل الحرب أيضا تفضي إلى السلام ؟ وهل السلام ممكننا في ظل هذه الظروف المتأرجحة بين الصراع العسكري والصناعي ؟

قائمة المصادر والمراجع :

1. القرآن الكريم برواية ورش.
2. إبراهيم مصطفى. (د.ت). المعجم الوسيط. تركيا: مجمع اللغة العربية (المكتبة الإسلامية) ، ج1، 1. (د.ط).
3. ابن خلدون. (1965). مقدمة ابن خلدون . القاهرة: المطبعة الميرية . طبعة جديدة .
4. أحمد سعيدان. (2004). قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون ، ط1.
5. أحمد عابد، و آخرون. المعجم العربي الأساسي. - احمد عابد وآخرون، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (لاروس).

6. ألان وود. (1984). *بتراند راسل بين الشك والعاطفة*. (ترجمة رمسيس عوض، المترجمون) بيرة: دار أندلس، ط1.
7. إيمانويل كانط. (1952). *مشروع السلام الدائم، ايمانويل كانط، مشروع السلام الدائم*. (ترجمة حسن عارف، المترجمون) مصر: المكتبة الأنجلوالمصرية، الطبعة الأولى.
8. بتراند راسل 1. (د.ت). *المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة*، ترجمة عبد الكريم أحمد، د ط، د ت. ص 142. القاهرة: المكتبة الأنجلومصرية، دط.
9. بتراند راسل 2. (د.ت). *السلطان (أراء جديدة في الفلسفة والاجتماع)*. (ترجمة خيري حماد، المترجمون) بيروت: منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر، دط.
10. بتراند راسل 3. (2008). *أثر العلم في المجتمع*. (ترجمة "صباح صديق الدمولوجي" مراجعة "حيدر حاج اسماعيل"، المترجمون) مصر: المنظمة العربية للترجمة، ط1.
11. بتراند راسل 4. (1967). *جرائم الحرب في الفيتنام*. (محمود فلاح، المترجمون) دمشق: مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي.
12. بتراند راسل 5. (يناير 1961). *السلطة والفرد*. (شاهر الحمود، المترجمون) بيروت: دار الطليعة، ط1.
13. رمسيس عوض. (1966). *بتراند راسل المفكر السياسي*. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.
14. رمسيس عوض 2. *بتراند راسل الانسان*. مصر: الدار القومية.
15. كامل محمد محمد عويضة. *بتراند راسل فيلسوف الأخلاق والسياسة*. بيروت: دار الكتب العلمية.
16. عبد الواحد محمد، و يوسف الفار. (1975). *أسرى الحرب دراسة فقهية وتطبيقية في نطاق القانون الدولي العام والشريعة الإسلامية*. بيروت: عالم الكتب، دط.
17. يعي محمد النهاني. (2008). *معجم مصطلحات التاريخية*. الأردن: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.
18. محمد توهيل. (1998). *علم الاجتماع السياسي "قضايا العنف والحرب والسلام"*. الأردن: دار المستقبل للنشر والتوزيع، ط1.
19. Alfred Jules Ayer, *Bertrand Russll*, The university of Chicago, Chicago, the university of L.T.D, London, 1988
20. Sally wehmeier, oxford, Advanced learner's dictionary, new edition, oxford up, 6edition .